مقدمة

مقدمة

اعتنت الدراسات النقدية العربية بدراسة العجائبي في النصوص العربية القديمة والحديثة، فتباينت فيها الرؤى؛ ما بين عدم فهم هذا النوع من الأدب، وخلطه بفنون أخرى قريبة منه،كالعجيب، والغريب، مصطلحًا ومفهومًا، ولهذا التباين ما يسوّغه. ومنها ما حصـرت همَّها في إثبات وجود العجائبي في القديم، وأنه مسبوق؛ إذ عرفه العرب مبكرًا. وهناك دراسات بالغت في وسم النصوص العربية به، فكان كل خيال خارج عن المألوف يعدُّ من العجائبي، أوعدَّه خاصية أو موضوعة فقط يتميز بها الأثر الأدبي؛ فكان ذلك سببًا في تمييع هذا الفن بعد أن كاد أن يكون أدبًا له خصوصيته ومعالمه التي تفصله عن غيره.

وفي ظل حرص بعض الدراسات للكشف عن العجائبي في السرود العربية القديمة، وبيان تمظهره فيها، برزت دراسات متعددة ومتنوعة؛ فكانت كتب الكرامات والرحلات، والحكايات الشعبية، أمثال "ألف ليلة وليلة"، و"مائة ليلة وليلة"، ونحوهما، مسرحًا لتبيان ذلك النوع من الأدب، وتمظهراته فيها. وبقيت نصوص أخرى تراثية يمكن أن نتلمس فيها العجائبي، خصوصًا أن بعض تلك السرود كانت حاضرة في دراسة صاحب النظرية عند تأصيله لهذا الأدب؛ إذ اعتمد تودوروف على نصوص عجائبية، كان منها نصوص شرقية، كـ "ألف ليلة وليلة"، أو لها طابع شرقي، كـ "المخطوط الذي عثر عليه في سرقسطة". وكان هذا الاهتمام بنصٍّ من التراث العربي، أونصٍّ يشبهه، قد دفع بالدراسات النقدية

للعودة إليه، والتنقيب في السرود التي يمكن أن تشي بشيء من ذلك؛ فظهرت دراسات عن العجائبي في فنون التراث المختلفة، كان منها دراسات في بعض حكايات "ألف ليلة وليلة"، وفي حكايات "مائة ليلة وليلة"، وغيرهما، تناولت فيها جانبًا، أو عدّة جوانب من العجائبي، ثم كانت هذه الدراسة التي تحاول إبراز العجائبي في نصٍّ مشابه لهما؛ هو "ألف يوم ويوم"، على أمل أن تكمل حلقة مفقودة توصل بين النصين السابقين؛ بغية الوصول إلى رسم معالم الأدب العجائبي الخاصة بهذا النوع من السرد العربي ذي الحكاية الإطارية.

لذا يطمح هذا الكتاب إلى أن يقف على مفاهيم العجائبي وشروطه، والأسس التي سنها المشتغلون عليه، ومدى بُعد الاختلاف أو قربه بين دارسيه، مع بيان إمكان ملاءمة هذا الأدب للنص المدروس، والإسهام في دراسة التراث، والتعريف ببعض نصوصه، وبيان مدى تمثّل العجائبي في نصٍّ من نصوصه السردية.

وقد يبدو للوهلة الأولى أن دراسة نص "ألف يوم ويوم" من السهولة بمكان، بيد أن الممارسة أثبتت أن الأمر صعب، خصوصًا إذا ما رمنا الكشف فيه عن العجائبي الذي مازال -عربيًا- ثمره لَمَّا يينع بعد، ويستوي على سوقه، نظرية ومنهجًا؛ لكثرة اختلاف الآراء فيه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، أننا بصدد نوع من الأدب (الأدب العجائبي) يتهدده خطر التلاشي في أية لحظة، مع انعدام الدراسات التي قاربت

حكايات "ألف يوم ويوم"، فصار طريق البحث محاطًا بهوّتين؛ منهج جديد يكثير فيه الاختلاف، ونص مغمور لَمَّا تُكشف أستاره بعد.

إن حكايات "ألف يوم ويوم"، بما لها من أهمية داخل النوع الأدبي الذي تنتمي إليه، فهي تكشف عن نصوص أخرى، كانت ركيزة في الأدب الشعبي، كما أنها تساعد في فهمنا لتلك النصوص، وتبرز دلالات ربما كانت مجهولة من قبل، وتبين مدى العلاقة والتعالق بينها ونصٍّ مُعلم؛ هو "ألف ليلة وليلة". وبما أن الموضوع لم يدرس البتة؛ إذ لا توجد دراسة واحدة حوله، تبقى حكايات "ألف يوم ويوم" بمعزل عن الدراسة؛ لذا فهي تفتقر إلى دراسة تبرز دلالاتها الأدبية. وبما أن النص متمثل لعناصر العجائبي، سمح بالكشف عنها فيه، فكان هذا النص جديرًا بالدراسة؛ للكشف عن نص مغمور نفتش فيه عن نوع جديد من الأدب (الأدب العجائبي) يثير تساؤلات عدّة محيرة مثله؛ نظرًا لما يقدّمه هذا الأدب من آراء صادمة، وربما غريبة -نوعًا ما- عن الدرس النقدي العربي.

لذا، درست هذه الحكايات بغية العجائبي فيها، وفق المنهج البنيوي التودوروفي؛ لما يتيحه من آليات جديدة تساعد في الكشف عن عنصر التعجيب داخل النص المدروس؛ إذ قام الباحث بدراسة البنية والدلالة في النص؛ للكشف عن تمظهرات العجائبي وتجلياته بوساطة عناصر البناء الحكائي، وبخاصة العنصر العجائبي منها، مع بيان موضوعات "الأنا، والأنت"، ووظائف العجائبي، ثم البحث عن مكونات العجائبي داخل

النص، وصولًا لإثبات مدى صلته بهذا الأدب، فيقدم البحث بذلك صورة شاملة عن تمثلات العجائبي من خلال هذا النص.

ومع تنوع الدراسات التي قاربت العجائبي، خصوصًا تلك التي اهتمت بنصوص من السرد العربي القديم، فإن "ألف يوم ويوم" لم تحظ بشيء منها، لكن سيكون لتلك المقاربات أثر في إثراء الدراسة، لاسيما الجانب النظري منها. ومن تلك الدراسات على سبيل المثال: ما قدّمه لؤي علي خليل؛ إذ قدّم في هذا الباب ثلاثة كتب:

أولها: كتاب: (تلقِّي العجائبي في النقد العربي الحديث – المصطلح والمفهوم)[1]. جمع فيه سبعة عشر مصطلحًا يتداوله النقاد المحدثون عن العجائبي، تجتمع بعضها في المفهوم وتختلف فيه أخرى، وتوصل في النهاية إلى أن العجائبي يعدُّ المصطلح المناسب لمصطلح (le fantastique)؛ لشيوع استعماله في الدرس النقدي، مع أنه يرى أنه لا يدل على المفهوم الغربي بأمانة. إلا أنه لم يستوف مصطلحات أخرى تداولها نقاد آخرون عند دراسة العجائبي. وسيعرض البحث لهذا في التمهيد.

وثانيها: كتاب: (عجائبية النثر الحكائي – أدب المعراج والمناقب). تناول فيه العجائبي في أدب الكرامات؛ من حيث تحققه فيها، وموضوعات العجائبي، ووظائفه في النصوص المدروسة. وقد جاءت الدراسة في فصلين؛ خصّص أحدهما لدراسة العجائبي في أدب المعارج، وكان معراج

[1] لؤي علي خليل، تلقّي العجائبي في النقد العربي الحديث المصطلح والمفهوم، ط١، دمشق، الموسوعة العربية، دار الفكر، ٢٠٠٥م.

ابن عربي موضوع الدراسة الذي بحث منه عن مدى تحقّق العجائبي فيه، ثم بين موضوعاته ووظائفه. وخصص الفصل الثاني لدراسة المناقب، وفعل فيه كما فعل في الفصل الأول. والدراسة تدل على استيعاب الباحث للنظرية، لكن المدونة عينة الدراسة كانت متمثلة للعجيب لا العجائبي؛ لأنها تقوم على الخيال.

وآخرها: كتابه: (العجائبي والسرد العربي- النظرية بين التلقي والتطبيق)[1]، فقد جاء في جزأين يجمعهما كتاب واحد؛ الأول: النظرية والتلقي (المصطلح والمفهوم والتجنيس) قدّم فيه مقاربة لبعض مصطلحات العجائبي المتداولة في الدرس العربي الحديث، ثم بحث قضية تجنيس العجائبي، وبيّن وجهة نظر تودرووف في ذلك ورأي المخالفين له.

وفي الجزء الثاني: النظرية والنص (أدب المعراج والمناقب)، ذهب يفتش عن العجائبي في أدب الكرامات، باحثًا عن مدى تحقّقه فيها، وعن موضوعاته ووظائفه. ويُعدُّ الكتاب في الأصل جمعًا للكتابين السابقين.

وما قدّمه حسين علام في كتابه: (العجائبي في الأدب من منظور شعرية السرد)[2]، كان قراءة لتلقّي الأدب العجائبي عند العرب من حيث المفهوم والبنية، ثم بيّن تجليات العجائبي في رواية "ليلة القدر" للطاهر بن

[1] لؤي علي خليل، العجائبي والسرد العربي النظرية بين التلقي والنص، ط١، بيروت، الدار العربية للعلوم، ناشرون، ٢٠١٤ م.

[2] حسين علام، العجائبي في الأدب من منظور شعرية السرد، ط١، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، ٢٠١٠م.

جلون،وحدّد النصوص المتداخلة مع الرواية،ملتزمًا في كل ذلك بتحديدات تودوروف؛ فاستجلى تمظهرات العجائبي في الشخصيات والفضاء، وبيّن التحولات العجائبية، والمسخ الذي كان في الرواية. واستطاع الباحث أن يبرز الخاصية العجائبية للنص المدروس بجدارة، من دراسة البنية والدلالة؛ محاولة منه لتأكيد أن العجائبي خاصية تلون النص، وليس أدبًا، لكن هذا البحث سيثبت أن العجائبية غير الأدب العجائبي.

وقام محمد تنفو في كتابه: (النص العجائبي- مائة ليلة وليلة أنموذجًا)[1]، بدراسة نص قديم يشبه في الشكل النص المقدم للدراسة هنا، وهو أقرب دراسة للبحث. وقد جاء الكتاب في فصلين: خُصّص الأول لتتبع مدلولات العجائبي في المعاجم، وفي الحقل النظري، وخُصّص الأخير للكشف عن موضوعات العجائبي في مائة ليلة وليلة؛ إذ بيّن كيف كان تمظهر شبكتي موضوعات العجائبي؛ "الأنا"، وتشمل عنده المرآة والجنّ والتحول، و"الأنت"، وتتضمن موضوعي الجنس والشر. وارتضى المنهج الموضوعاتي آلية للدراسة.

فضلًا عن دراسات أخرى متعددة، أبرزها: دراسات شعيب حليفي[2]، والخامسة علاوي[1]، وغيرهما[2].

---

[1] محمد تنفو، النص العجائبي مائة ليلة وليلة أنموذجًا، دمشق، دار كيوان، ط١، ٢٠١٠م.

[2] شعيب حليفي، مكونات السرد الفانتاستيكي، مجلة فصول، القاهرة، مج١٢، ع١، ربيع ١٩٩٣م، وبنيات العجائبي في الرواية العربية، مجلة فصول، مج١٦، ٣، القاهرة، ١٩٩٧م، وشعرية الرواية الفانتاستيكية، بيروت، الدار العربية للعلوم ناشرون، د.ط. د. ت.

ويهدف هذا الكتاب إلى بيان تجليات العجائبي في حكايات "ألف يوم ويوم"، وإظهار موضوعات شبكتي "الأنا والأنت"، مع بيان تمظهر العجائبي في عناصر بناء هذه الحكايات، ومعرفة مدى تمثل تلك العناصر للعجائبي، والكشف عن دور الراوي في صناعة عجائبية النص، وتحويله إلى نص يثير ويدهش، ثم الكشف عن وظائف العجائبي التي يؤديها النص، ومدى توافقها مع ما قدّمه هذا الحقل المعرفي حولها، ومن ثم البحث في مكونات العجائبي داخل نص "ألف يوم ويوم"، وهل توجد فيه خصوصية، أو تقانة تميّزه من بقية نصوص الأدب العجائبي الأخرى؟

وقد اعتمد الباحث مدوّنة "ألف يوم ويوم" النسخة العربية التي صدرت تحت عنوان (ألف يوم ويوم فروخ ناز شهرزاد آسيا الوسطى)[٣]، مجالًا للدراسة؛ للكشف عن عجائبيات هذا النص، وبيان تمظهرات العجائبي وتجلياته فيها؛ فبدأ بتمهيد، كان الحديث فيه عن العجائبي مصطلحًا ومفهومًا، بدءًا بمعنى لفظة العجيب في القرآن الكريم، فالعجيب في بعض كتب المعاجم العربية، وفي كتب التراث، ثم موقف المحدثين من

---

[١] الخامسة علاوي، العجائبية في أدب الرحلات رحلة ابن فضلان أنموذجًا، ط١، أبو ظبي، دار السويدي للنشر والتوزيع، ٢٠١٥م، وتمظهر العجائبي في النصوص السردية التراثية، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، ع٤٣٨، تشرين الأول ٢٠٠٧م.

[٢] على سبيل المثال: العجائبي في المخيال السردي في ألف ليلة وليلة، رسالة ماجستير مقدّمة إلى جامعة الحاج لخضر جامعة باتنة – الجزائر، إعداد سميرة بن جامع، وإشراف صالح المباركية، ٢٠٠٩-٢٠١٠م.

[٣] بيتي دي لا كروا، ألف يوم ويوم فروخ ناز شهرزاد آسيا الوسطى، ترجمة: وتحقيق: نعمة الله إبراهيم، وزاهد الله منور، وتيمور مختار، ط١، بيروت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ١٩٩٤م.

العجيب عند القدماء، ثم مفهوم العجائبي عند تودوروف، وبيان شروطه وخصائصه التي حدها له، ومن ثم الكشف عن بعض الأجناس القريبة والبعيدة منه التي تهدد الأدب العجائبي، وبيان وظائف هذا الأدب وموضوعاته، ثم الوقوف على تلقّي بعض النقاد العرب للعجائبي، ثم خُتم التمهيد بالتعريف بالمدونة وصلتها بألف ليلة وليلة، مع بيان أوجه الشبه والاختلاف بينهما في بعض الجوانب؛ وصولًا في نهاية المطاف إلى تحديد مفهومٍ للعجائبي يمكن تطبيقه على حكايات "ألف يوم ويوم"، فجاء التمهيد بمثابة مهاد نظري لفصول البحث التي قامت لتفتش عن تقنيات العجائبي المستعملة في نص ألف يوم ويوم.

واختص الفصل الأول بـ(موضوعات العجائبي في ألف يوم ويوم)؛ إذ تتبع البحث أبرز موضوعات الأدب العجائبي عبر شبكتي "الأنا، والأنت"، مفيدًا من آراء تودوروف حول ذلك؛ أي إن البحث في هذا الفصل ركز على دراسة متن الحكايات، وبيان تمثلها لموضوعات العجائبي.

وتناول الفصل الثاني:(البنية السردية في حكايات ألف يوم ويوم)، دراسة عناصر البناء الحكائي،وبيان مدى تمظهر العجائبي فيها، والكشف عن التقانة التي تميز هذا الأدب من غيره، وبيان الصورة العجائبية الماثلة في السرد، وكيف شكلت النص ومنحته عنصر التعجيب، ثم الحديث عن دور الراوي في صنع عجائبيات هذا النص، ومدى استيفائه لمتطلبات الراوي العجائبي.

ويقف الفصل الثالث:(وظائف الأدب العجائبي في ألف يوم ويوم)، على فائدة العجائبي في هذه الحكايات؛ أي البحث عن وظيفة هذا الأدب عبر النص المدروس، مفيدًا مما قدّمه تودوروف حول ذلك، وما أسهم به دارسو هذا الأدب.

أما الفصل الرابع: (مكونات العجائبي في ألف يوم ويوم)، فقد وقف الباحث فيه على أوصاف الأدب العجائبي في هذا النص؛ إذ بيّن فيه أشكال العجيب الثلاثة، ثم استجلى المقومات التي جعلت هذا النص ينتمي إلى الأدب العجائبي، والخصوصية العجائبية للنص.

ثم ختم الكتاب بخاتمة هي خلاصة فصوله، ونتائجها، مُتبعة بقائمة المصادر والمراجع المعتمدة في هذا البحث.

أخيرًا، فإن هذا البحث دراسة نقدية تنشد تمظهر العجائبي في نصٍّ مغمور من الشفاهية العربية لم يكشف عنه من قبل، وظل بعيدًا عن الدرس النقدي العربي. وأقل ما يُرجى منها هو لفت انتباه الدارسين لمثل هذه النصوص؛ كي يمنحوها في المستقبل بُعدًا آخر مختلفًا عما طمحت له هذه الدراسة، فيقدّموا منجزًا جديدًا آخر يضاف للمكتبة العربية.

ثم إنني آمل أن يكون توفيق الله حليفي؛ إذ إن هذا الأدب (العجائبي) معرض للتلاشي في كل لحظة، فما أراه عجائبيًا قد لا يراه قارئ آخر؛ إذ إن لكل قارئ ثقافته ومعتقده وبيئته التي تميزه من غيره.